

الفصل السادس

الإتجاهات المختلفة في فلسفة

التربية

Johan S. Brubacher; Modern Philosophies of Education, Fourth Edition, Foundations of Education (N. Y. Mac Graw Hill, W. t) Chapter Sixteen

ترجمة

أ.د / عصام الدين هادل

كلية التربية ، كفر الشيخ

مراجعة

أ.د/ عبد الفتاح تركي

كلية التربية ، جامعة طنطا

obeyikan.com

الاتجاهات المختلفة في فلسفة التربية

مقدمة:

رغم قدم هذا الكتاب ، فموضوعه وإن انتمى إلى تاريخ فلسفة التربية ، إلا أنه يحتفظ بأهميته لدارس فلسفة التربية نظرا للثقل الذي يحظى به باعتباره فكرا أصيلا وجادا . وإذا كانت لبرويبكر مكانته التي لا تبارى في هذا المجال فإن الجدير بالذكر هنا هو مراجع هذا المعرب . والحديث هنا ضروري لأنه الآن عند ربه الكريم . وهو بحق طه حسين التربية في مصر . فقد بصره في حرب 1967 وعانى ما عانى حتى أعيد تأهيله جسميا ونفسيا وبسرعة فائقة استقام في موقعه وسافر إلى فرنسا حتى حصل على الدكتوراه في فلسفة التربية ، وعاد إلى العمل بالكلية مقاتلا ومحاربا في سبيل الحرية والحقيقة . صاحب لغة عذبة ورقيقة لا تبارى ، وله مؤلفات عديدة أهمها كتابه الصادر عن مكتبة الأنجلوا المصرية عام 2003 بعنوان "فلسفة التربية ، مؤتلف علمي نقدي " وقد استعرضت بعضا من فكره في كتابي "التربية والطريق الثالث ، دراسة في الفكر التربوي وفقا للمنهج الجدلي الواقعي " ويستحق فكره دراسة عميقة تتناسب ومكانته في حقل فلسفة التربية .

نستعرض الفلسفة بشكل منظم حتى يمكن إلقاء الضوء على المشكلات النوعية التي ظهرت خلال دراسة وممارسة التربية ، خدمت كل مشكلة وكأنها نواة تنظيم للنظريات المختلفة أو الفلسفات التي سيستند إليها حل هذه المشكلة . لم تجر محاولة للمحافظة على الاستمرارية في الخطاب من خلال استخدام مصطلحات فلسفات معينة خاصة بالتربية . حان الوقت الآن لتجميع الأجزاء المتشابهة لهذه الفلسفات التربوية المتعددة والمختلفة في أنساقها الفكرية الخاصة في أغلب

الأحيان. وفي ضوء الاتساق الكلي نجد أن قوة أي موقف فردي يمكن أن تؤكد إذا تناقض أحد المواقف مع الأخرى في بنية النسق ، عندئذ سيكون لأحدها الدفاع في مواجهة الضعف أينما كان . ولكن البحث عن هذه الحالة الواسعة من الفهم يمثل ما تستهدفه الفلسفة . سوف يفشل الفرد ، بشكل حقيقي ، في أن يكون مخلصا لروح الفلسفة إذا لم يبذل الجهد لاختزال قناعاته المتعددة إلى نمط مفرد وشامل ومتسق من الفكر .

يتم تسجيل عدد من الحالات النسقية التي يكون بعضها أكثر تقدما من الأخريات ، يوجد تداخل متوقع وليس بسيطا بسبب وجود العديد من ظلال للرأي. حيث يضع هذا التداخل مشكلة ذات مغزى في التصنيف الذي تم في الفصول السابقة من هذا الكتاب ، حيث تم استعراض الأوضاع الفلسفية للتربية باختصار تحت صنفين ، التقدمي ، والمحافظ . فإذا كان تأكيدنا منصبا على مقولات تربوية فإننا نجد أن هذا التصنيف البسيط والعام كان كافيا بشكل مناسب . لكن الآن عندما تحول تأكيدنا نحو المقولات الفلسفية وهي كثيرة ومتنوعة ، أصبح هذا التصنيف الثنائي غير كاف على المدى البعيد ، وأكثر من ذلك نجد أن الأنساق الكاملة للفلسفة التربوية نادرا ما تكون تقدمية أو محافظة بشكل كلي .

الفلسفة الطبيعية البرجماتية:

حتى ظهور " التربية التقدمية " في أوائل القرن العشرين كانت الفلسفة التربوية تحتضربدرجة أو بأخرى ، ثم حدثت التجديدات عن طريق التربية التقدمية . كيفما كان الحال ، قامت معارضة قوية في مواجهة الحكمة العقائدية الموروثة من القرن التاسع عشر بأن المربين مجبرون على اللجوء إلى الفلسفة من

أجل أن يتخذوا أحد موقفين ؛ إما الارتباط بالتربية التقدمية أو البقاء مع التقليديين والأصوليين . منذ أن استحوذت التربية التقدمية على الاهتمام الحالي والشامل بفلسفة التربية ، قد نبدأ جيدا ملخصاتنا النسقية من خلال تلخيص أساسنا المنطقي Rationale .

يقع مفتاح فلسفة التربية التقدمية في صفة التقدمية ، والتقدم طبيعي ، فهو يتضمن التغيير ، والتغير يتضمن الجدة Novelty ، والجدة تصنع الاستحقاق لأن نكون حقيقيين غير رائفين أكثر من إظهار Revelation واقع كامل وسابق . سواء تغيرت الأشياء في نفس الوقت أم بنفس المعدل Rate [i] ، فالجدة تتجاوز ما هو مألوف . حقيقة ، يمثل العالم الذي يواجه التلميذ خليطا من هاتين الخاصيتين . ليس من المستغرب مع هذه الميتافيزيقيا . أن نرى التربية التقدمية تؤكد على اتجاه العقل في حل المشكلات ، أو أنها سوف تحاول إنماء المبادرة والثقة بالنفس لدى أنصارها . إن التحدي أمام العقل يدعو إلى استخدام ما هو مألوف كوسائل لاكتشاف الجديد ووضعه تحت التحكم من أجل مواجهة مواقف المستقبل الجديدة.

تمثل الفروق الفردية إحدى القنوات الرئيسية التي ينمو من خلالها التطور الصاعد ، وعلى أساس من هذا النوع يحدث التوالد البيولوجي والاجتماعي على الدوام مع قيام التنوع . كل تنوع في شتى الأجناس لا يؤدي بالضرورة إلى جديد . من ناحية أخرى ، لا يعبر تصنيف الأجناس لنوع ما عن خصائص متفردة مميزة للأجناس . وهذه الأجناس تظل فرديتها بشكل لا يقارن أمرا مهما ، فبدونه ، لن يكون هناك أي تقدم يذكر . وبالتالي فإن الضغط الحادث بواسطة التربية

التقدمية على تنمية الفروق الفردية بين الطلاب يمكن أن يفهم بسهولة . إن
تنميتها لا غنى عنها لتحقيق الذات ، لكن يعتبر هذا الضغط ذا قيمة لا تقدر بثمن
باعتباره مصدرا للتقدم الاجتماعي .

لكن السؤال الذي يبرز أمامنا ، كيف يعرف الفرد ؟ ، ومتى يقود التغيير التنوع
الفردى نحو التقدم ؟ . التقدم هو ، بعد كل شيء ، كلمة قيمة . وفق النظرة
البرجماتية نجد أن القيم أدوات . إنها تقاس بكفاءتها في تحقيق الأهداف .
ويحدث التقدم عندما تتحقق هذه الأهداف . لكن ، بطبيعة الحال ، سوف يظل
العقل الباحث في حاجة إلى معرفة ما إذا كانت هذه الغايات نبيلة Worthy ،
وجيدة ، فالفيلسوف البرجماتي يمكن أن يجيب عن هذا السؤال من خلال توجيه
سؤال آخر أيضا ؛ لماذا تكون هذه الغايات جيدة ؟ بكلمات أخرى ، تقدر قيمة أي
غايات معينة أدواتيا في مواجهة غايات أخرى . وعملية المقارنة هذه تجعل العمل
الذي تقدم عليه بلا أهداف ولكن يعوض ذلك رغبة الفرد في إتمام العمل نتيجة
لتقديره بأن الموقف الذي يوجد فيه لا يقدر بثمن . وفي ضوء هذا الموقف يمكن الحكم
بقيمة ما يأتيه الفرد من عمل . وفي هذه الحالة يكون معيار التقدم ذا خصوصية ،
وهذا المعيار ليس له صيغة محددة للتقدم لأن العمل يتم دون أن تقوده أهداف
نهائية أو ثابتة . حقيقة ، ما الذي يستطيعه المرء في عالم يرى فيه جده متعاظمة
ودائمة ؟

ولهذا نرى لماذا يعطي المربي التقدمي انتباها كبيرا لاهتمامات التلاميذ ؟ .
إنها ، بعد كل شيء ، قلب Core نظرية القيمة التربوية . إنها . أي الاهتمامات .
تقود المرء إلى اختيار مواد المنهج ، وتعتبر الدينامو المفرد الأفضل الذي يخلق فيهم

الدافعية . بطبيعة الحال ، الخطر المصاحب لهذه النظرية يكمن في أن الاهتمام ، مثل التقدم ، سوف يحظى بتطبيق أو دوام محدود . إن اهتمام الأطفال ، للوهلة الأولى ، قد يكون سيئاً Notorious بسبب تذبذبهم ، وافتقارهم لقيادة مدعمة وذات ديمومة Sustained . إن الخطأ ، كيفما كان الأمر ، ليس مهلكاً Fatal ومع ذلك لا بد أن نحذر منه . ومن الضروري الوعي بأن بعض الاهتمامات التي تظهر قد تكون عابرة وبعضها قد يدوم لبعض الوقت وقد تستحوذ على الانتباه لمدة أطول ، ولا يشعر البرجماتي بوجود تناقض في موقفه الذي يحتفظ فيه باهتمامات تستمر طويلاً فاللحظة التي عندها يريد أن يحافظ على تكامله تتمثل في أن يكون البرجماتي قادراً على الالتزام بتلك القيم التي يضعها موضع التقييم ، وبالتالي فإن البرجماتي أو التقدمي سوف يحسبها بشكل من قصر النظر إذا لم يتعلم الصغار الجلد والمثابرة ، إن الفضيلة المميزة التي يعتز بها البرجماتي تتمثل في أن يلتزم الطفل بالقيم التي يراها بنفسه ، ويقبلها بقصدية كما لو كانت قيمه الخاصة .

لا تعطي النظرية التقدمية أو البرجمانية للقيمة أهمية كبيرة لاهتمامات التلاميذ فحسب ، وإنما تضيف دلالة على مختلف أوجه الأهداف التربوية . وما يمكن استنتاجه ، في أغلب الأحيان ، هو حقيقة أن التقدمي لا يحظى بأهداف ثابتة أو قيم ثابتة مقدما . ومهما كانت الأهداف التربوية صادقة وعظيمة في الماضي ، فلا يمكن فرضها على المستقبل . في عالم يتسم بعدم الاستقرار Precarious كما أنه غير قابل للتوقع ، بفعل اندماج الجديد والمألوف ، يجب أن يتم تناول الأهداف التربوية باعتبارها موضوعاً للمراجعة كلما تقدمنا نحو المستقبل ، أمكن أن يكون للتربية أي هدف عام ، يمكن أن تأخذ المراجعات مكانها

على ضوءه ، فهو ارتباطها بنمو التلاميذ ، لكن النمو نفسه ليست له نهاية .
بكلمات أخرى ، التربية هي غاية البرجماتية ، والبرجماتية لا تكون تقدمية لأنها
تصنع تقدما كبيرا نحو تحقيق هدف بعينه ، ولكن لأنها تنمو في اتجاه يكشف عن
المستقبل الجديد الواعد .

مما سبق يمكن أن يتضح حتى الآن أن الغايات التربوية لا تحدد للتربية
التقدمية نهاية الطريق ، وإنما هي علامات هادية تدل على الطريق الذي تسلكه
هذه التربية . وبهذا الفهم تستخدم الغايات تجريبيا ، والطريق الحقيقي للتربية
هو ألا يكون هناك طريق ، ويعني هذا أن يصبح حقيقة خلال التجريب . وعلى هذا
فإن الحقيقة من وجهة نظر البرجماتي لا تفهم إلا ديناميكيا أي تجريبيا ،
التحقق verification ليس مجازيا figuratively وإنما يكون الطريق حقيقة
سليمة حينما تيسر للتربية إبداعا وخلقاً . ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن
التلميذ أو المدرس يصنعان أو يخلقان واقعا خارجيا . بينما يقبل الفيلسوف
البرجماتي وجود عالم خارجي موضوعي ، إلا أنه يتعامل معه بهدف التعرف على
ما يرتبط به من عواقب . هذه العواقب بقدر ما In so far تؤيد حقيقة متوقعة ،
تصبح هي الحق أو الصدق .

تتضمن النظرية البرجماتية في الحق دورا متميزا جدا من أجل الذكاء
في النظام العالمي ، يجب أن يتم التفكير فيها كأداة أو وسيلة للتحقق في بيئة
متغيرة وغير مستقرة . يحقق الذكاء توافقات مشبعة تجعل المرء قادرا على
استخدام القديم والمألوف كأداة لإخضاع Subjugating الجديد والمحتمل ، إنها
الوسائل الرئيسية للبقاء . ذلك تطورها البيولوجي ومغزاه الإستمولوجي . أيضا ،

هذه الخلفية البرجماتية تلقي الضوء على الطريق التجريبي لكل من التعلم والتدريس . عندما يدخل التلميذ والمعلم مشروعاً لا توجد غايات متصورة بشكل مسبق ، عندها يبرز أو ينتشر، أو يتبدى التحدي المشترك في أن نفكر في طريقهم . إن الشيء الحاسم في الطريق البرجماتي أو التجريبي للوصول إلى الحقيقة هو منهجيته ، كما أشير مسبقاً يضع الكون غير المستقر المشكلة . بعد تحديد الصعوبة بشكل دقيق قدر الإمكان ، والبحث عن المصادر الملائمة من أجل حلها ، بوضع فرض ما ، بعد ذلك يؤثر هذا الفرض في الخيلة بشكل درامي ، ويوضع تحت الاختبار . تبدأ الأنشطة بشكل واضح في البيئة المتغيرة لرؤية ما إذا كانت العواقب سوف تلحق بما هو متوقع . إن أهمية منهج النشاط تتوسط الصحة هنا . إن الأنشطة ضرورية لجعل التربية تحاكي الحياة ، وجعل هذه الحياة تماثل الحق والصدق .

تمثل النظرية البرجماتية في المعرفة أمراً استراتيجياً في المفهوم التقدمي بالمنهج ، فالمعرفة عند المفكر البرجماتي هي ما يمكن ترجمته في عالم الفعل ، قبل أن تستخدم المعرفة فإنها تعتبر مجرد معلومات . تصبح المعلومات معرفة إذا ما تقرر بأنها مناسبة لحل مشكلة معينة ، إذا ما اختبر هذا الحكم وفق معيار من الخبرة . ومن هنا نفهم حرص المربي التقدمي على التمييز بين المنهج المعد سلفاً ، والمنهج الذي يتعلمه الطفل بشكل حقيقي على مسرح الفعل . وهكذا فإن المعلم التقدمي لا يرى في المعرفة شيئاً مسبق التجهيز يتعلمه الطفل ، وإنما تصاغ حينما ينجح المعلم والتلميذ في امتلاك الوسائل التي تمكنهما من تحقيق مشروعهما .

ولما كان الفيلسوف التقدمي ، يتعرف إلى الحقيقة والقيمة عبر خبرة معينة لبعض الأشخاص فلا ينبغي أن يدفعنا ذلك بالاعتقاد أنه يهمل خبرات الآخرين بشكل عام ، فهو يقدر الجانب الاجتماعي تقديرا كبيرا .

ومن المعروف أن المجتمع يمثل نمطا من الخبرة المشتركة . وتمثل المشاركة في المجتمع واحدة من الطرق شديدة الأهمية بالنسبة للتربية . إن الطريق الذي ينظم فيه المجتمع المشاركة يمثل بطبيعة الحال النقطة الحرجة . فالمشاركة تكون أكثر حرية وغير معوقة كلما اتسع نطاق الديمقراطية وبالتالي تتعاضد الفرص التربوية . وهنا ندرك الاعتماد الكبير على الديمقراطية في العملية التربوية . كل ذلك يمثل أمرا برجمائيا من الدرجة الأولى ، لأن الحرية المتدفقة في السياق الاجتماعي تجعل الخبرة متاحة من أجل الحكم على ما هو صحيح وحسن في خبرة الفرد .

لذلك ليس من المستغرب أن المربي التقدمي يرتبط بالعملية الديمقراطية في علاقة دافئة ، وتيسر الديمقراطية لهذا المربي ، على المستوى العام ، تشجيع التلميذ على إنماء مواهبه المتفردة . ومما يدعو للسعادة ، أنه كلما نما الأفراد بشكل مختلف كلما زادت فرص المشاركة ، وبالتالي يتعاضد اعتمادهم المتبادل اجتماعيا . بالتالي تواجه التربية التقدمية وجود أي عوائق أمام تبادل وجهات النظر الثقافية المتنوعة ، مثل التفرقة العنصرية على أساس من الجنس والدين والفصل بين التعليم النظري والمهني ، يشارك المدرس التقدمي في الفصل الدراسي بشكل ديمقراطي مع الأطفال من خلال عدة قرارات تتعلق بالأهداف والمنهج والنظام قدر الإمكان . المشاركة المتوقعة بين التلميذ والمدرس يمكن أن تحدث أيضا بين المدرس وطاقم الإدارة والإشراف .

بطبيعة الحال ، كل هذه الوسائل تمثل مقياسا للحرية في المدرسة التقدمية .
فالحرية تستمد أهميتها من أهمية الفردية نفسها ، سوف تعزز فعاليتها وفق ثراء
الثقافة التي تنمو عبر المشاركة الديمقراطية . وأكثر من ذلك ، إن الحرية ليست فقط
من أجل التلميذ ولكنها مهمة أيضا للمربي . إن التقدمية ، على وجه الخصوص ،
تقدر حرّيته الأكاديمية لأن المدرسة بغيرها ستكون ضعيفة بلا قوة تمكنها من أن
تمثل أداة فعالة في التقدم الاجتماعي . وعن السؤال عما إذا كانت المدرسة قادرة
على قيادة الطريق لبناء نظام اجتماعي جديد فإن التقدميين أنفسهم لن يوافقوا
على ذلك ، يكفي القول بأن كفاءة المدرسة الديمقراطية في مواجهة التغير
الاجتماعي تكمن في إصرارها على حدوث تدفق حر في السياق الاجتماعي . في هذا
الطريق تكون قادرة على تحريك المصادر إلى حدها الأقصى على أي نقطة في جبهة
التقدم الاجتماعي

لا تقف التقدمية البرجماتية عند تأكيد الحد الأقصى من الحرية لكل فرد ،
وإنما تعمل على تسييد وجهة نظر تعددية المجتمع ، وذلك يعني أن الدولة في المجتمع
هي واحدة من صيغ عديدة ومختلفة للتنظيمات الاجتماعية الذي تمدنا بالفرص
التربوية في المجتمع . بمنع أي وكالة واحدة مثل الدولة أو الكنيسة من احتكار
التربية ، يؤكد المجتمع حرية الفرد لمساعدته في الاختيار من بين الأهداف التربوية ،
إلى جانب طرائق التعلم والمقررات ، برغم إظهار التزام عميق بفكرة الحرية ،
فالفيلسوف البرجماني التقدمي لا يفكر في أنه يناقض نفسه في الاستسلام
لمشاركة أعظم بواسطة الدولة في المشروع التربوي . واكتفاء الدولة بتقديم بعض
الخدمات مثل الانتقال الحر من وإلى المدرسة ، أو فحوصات طبية مجانية ،

بالإضافة إلى الكتب والعروض فإن جموع الأجيال الشابة سوف يكونون أحرارا في صنع أغلب ما لديهم من قدرات .

هذا التوجه الاجتماعي يمثل في النهاية ملمحا خاصا للتربية الدينية والخلقية . التربية الخلقية تمثل التربية للسلوكيات السائدة في المجتمع ، ويحرص المعلم على أن يكون الطفل ذكيا في تقديره لهذه السلوكيات ، فالسلوكيات ، بكلمات أخرى ، تطبق بشكل تجريبي . والجزء المترتب على هذه السلوكيات يعني أن تعتمد على نتائج أفعالهم وليس على الدين . التربية الدينية تعتمد على النتائج التي يلمسها الطفل ، وهكذا تكون شأنها شأن التربية العلمانية في أي مجال ، فهي الأخرى تقوم على المشاركة الجادة في مشروعات المجتمع المحلي . وإن كان لها ملمح متميز فهو أن تيسر للشباب أن يباشروا أنشطته وفق المنظور الشامل للمصلحة الاجتماعية بقدر المستطاع .

مذهب إعادة البناء:

ارتبطت الفلسفة التربوية بالفلسفة البرجماتية وقد تم نقد الفلسفة البرجماتية بواسطة مجموعة من فلاسفة إعادة البناء الذين لم يصبروا على خطوات مشهد خصائص الإصلاح التربوي لمذهب التقدمية . ينظر فلاسفة إعادة البناء إلى التربية التقدمية باعتبارها أمرا مفيدا في المجتمع المستقر تماما الذي تحدث فيه التغيرات ، ولكن ألوان التكيف التي يحتاجونها للمحافظة على الثبات تمثل جهودا محدودة . إذا كان إتباع الحرية الأكاديمية والحرية المدنية يترك الفرد غير قادر على بناء قرار فيما يتعلق بالتكيفات البديلة ، أو على الأقل ، بدون التزام قوي لواحد منها ، فلا توجد نتائج ضارة بشكل كبير . ومثل هذه الخبرة التي تعطل

اتخاذ القرار هي أمر متوقع في مجتمع يعيش فترة من التحول . ولكن أولئك الذين يسمون أنفسهم بمفكري إعادة البناء لا يفكرون في أنهم يحيون خلال فترة من التحول الاجتماعي الهادئ. ولكنهم على العكس من ذلك ، فإنهم منشغلون بالنظر في الظروف الناجمة عن الحرب العالمية ، عن الصراع الدائر بين الشيوعية والرأسمالية وأيضاً عن وقت السلم كما يفكرون في المعزى العسكري للانشاطار النووي ويرون في ذلك كله أمورا قابلة للانفجار ، وحتى الثورة ، لن تكون التكييفات العرضية والجزئية كافية على الدوام . الأمر يتطلب إعادة بناء شاملة كان من الممكن أن تكون التربية التقدمية مناسبة للمبدأ الليبرالي " دعه يعمل دعه يمر " لكن حان الوقت الآن لأخذ خطوة جسورة تتجه بنا نحو دولة الرفاهية الجماعية .

لا يحقق الخطوة الجسورة الراديكالية لمفكري إعادة البناء إلا باتخاذ وجهة نظري وتربية في التربية ، إنهم يؤيدون نقد وتوجيه الجهود التربوية المعاصرة من خلال وجهة نظر تدور حول تحويل التربية إلى تربية مثالية . ورغم أنهم يويويون ، فهم ليسوا غير واقعيين . من المتوقع أن يصنعوا يوتوبيتهم من أجل العمل وليس الانطواء عليها في برج عاجي لما كان الحال فيما مضى وليس أيضا للانعزال عن المستقبل . يمثل مفهوم اليوتوبيا للتربية دعوة إلى أقصى قدر ممكن من تحقيق الذات في أكبر عدد ممكن من الجماهير ، ولأن الغالبية العظمى من الجماهير هي فئة العمال . المزارعين متقاضي الأجور (المأجورين) والمستخدمين من ذوي الرواتب . سوف تحظى التربية بتوجه نحو العمل من غير شك . ثمة تربية ممكنة في اقتصاد الوفرة ، وتحت حماية دولة الرفاه حيث يتقلص استغلال الإنسان ويتوفر الضبط الديمقراطي التام .

يسخر مفكر إعادة البناء كثيرا من الفلسفة البرجماتية من حيث الإستراتيجية والتكتيك اللازمين ليوتوبيتهم ، واليوتوبيا الخاصة بهذا المفكر البدائي مختلفة حيث تتطلب بعض التعديلات الفورية وبعض الاهتمامات . أهم توجه لمفكري إعادة البناء هو الاتجاه نحو المستقبل الذي يعطيه لهم المذهب اليوتوبي . فإذا كان الفيلسوف البرجماتي ينطلق من الحاضر نجد أن مفكري إعادة البناء ينطلقون من المستقبل ، على أية حال ، إن تعامل مفكر إعادة البناء مع المستقبل ، ليس مجرد خيال ، فالمستقبل عنده يمثل جانبا كبيرا من مذهب الوجود جزءا من وجوده وسمة أصيلة من الوجود ذاته . إذا فكرنا فيما سيكون عليه المستقبل ثم بدأنا مخطط الحاضر للاقتراب منه فإننا بهذا نجعل المستقبل قوة ملموسة توجه الحاضر .

من المحتمل بالتالي ملاحظة ما يمارسه مفكر إعادة البناء من جهد لتحقيق الهدف ، ليس فقط باعتباره خاصية في الطبيعة البشرية ، وإنما باعتباره محورا جوهريا في نظرية التعلم . من الواضح أن سلوك البحث عن الهدف هو فعل موجه نحو المستقبل . ومن ثم يكون من المناسب دعم فلسفة التربية اليوتوبية ، وبالإضافة إلى ذلك ، فالبحث عن الهدف يعتبره مفكر إعادة البناء على درجة عالية من الأهمية ، تعرف الأهداف أو القيم بشكل مباشر دون واسطة وهذه اللاعقلانية يعتبرها مفكر إعادة البناء قد أهملت كثيرا في نظرية المعرفة . بسبب هذا الحكم البديهي فإن الأهداف تكون مدركة حسيا Prehended أكثر من كونها مفهومة Top apprehended ، ووفقا لهذا التقدير ننظر إلى قدرات الإنسان باعتبارها من بين القوى الهائلة ومن ثم إذا كان الاتفاق الاجتماعي حول اليوتوبيا

والوسائل المؤدية إليها يمكن أن يتحقق ، فإن الطاقات المولدة للقوة تكون دائماً في المتناول حتى تحيل اليوتوبيا إلى وجود حقيقي .

ومثل هذا الاتفاق يوجد بالفعل في إيديولوجيا الجماهير وهي نسق المعتقدات والعادات والأهواء التي ترتبط بالسلوك . بالنسبة لمفكر إعادة البناء تمثل هذه الأيديولوجيا نوعاً من العقل الجمعي ، وصيغاً من البناء الاجتماعي ، فهي واحدة من السمات العامة للوجود التي يجب على فلسفة التربية أن تضعها في اعتبارها . وحينما يشير مفكر إعادة البناء إلى العقل الجمعي ، فإنه لا يعني بذلك أية هوية باطنه تختلف عن عقل الفرد . إنه يصف فحسب حقيقة أن الناس ستتذكر خبرتها المشتركة والعامة ، ينقدونها ويستخدمونها كمعايير لخبراتهم المستقبلية ، ولكن ثمة جماعات تظل مبقية على معاييرها الإيديولوجية . حقيقة ؛ الكفاح داخل الجماعة ، مع تقليص وتوسيع مدى الحرية ، يبدو أنه جانب من مبحث الوجود الخاص بفلسفة إعادة البناء كما هو الحال في البنية الاجتماعية نفسها . إمكانية تحقيق اليوتوبيا عبر التربية يمكن أن تكون فعالة فقط إذا ما كان هناك اتفاق اجتماعي على هذه اليوتوبيا . يصر مفكر إعادة البناء على أن هذا الاتفاق يجب أن يكون طوعياً ، فيجب أن تنتظر شهادة طوعية من الأفراد والجماعات بالموافقة على الأهداف التي تسعى إليها . بالتالي لا يعتقد مفكر إعادة البناء في أن المدرسة سوف تلقن الطلاب مبادئ يوتوبية ، ومع ذلك فإنه يعتقد في إمكانية الدفاع عنها من قبل الطالب أو المدرس بل والدعاية لها طالما تمت الإحاطة بكل الأدلة المؤيدة والمعارضة لهذه اليوتوبيا .

المذهب الطبيعي الرومانسي:

- فئة ليست بالقليلة من التقدميين لا تجد الدعم الفلسفي لمعتقداتها التربوية؛
- (1) فلا يوجد هذا الأمر في الفلسفة البرجماتية كما نجده قائماً في المذهب الطبيعي الرومانسي .
 - (2) المعتقدات الرئيسية للتربية التقدمية تنبثق من التفكير ليس الخاص بجون ديوي وأتباعه ، ولكن الخاص بروسو ومشايغيه . يجعل برجماتي مثل ديوي المعتقدات التقدمية الرئيسة الخاصة بالاهتمام والحرية في نظرية الديمقراطية. يمثل مقوماً أساسياً في برنامج النشاط الذي يتضمن هذه المعتقدات بشكل أساسي منهجاً لاختبار الحقيقة . على جانب آخر يرضع تابعو روسو الرومانسيون معتقدات التربية التقدمية بشكل أساسي في نظرية خاصة بالطبيعة [4] الإنسانية .
 - (3) ولما كان الطفل نشطاً تطبيقياً فإن الاهتمام والحرية تصبحان أدواته الرئيسيتين للتعبير عن الذات .
 - (4) ولما كان الفيلسوف الطبيعي يكن توقيراً كبيراً للطبيعة . كما يشهد على ذلك فرض روسو الشهير بأن الطفل خير بطبعه وليس فاسداً كما كان معاصروه يعتقدون .
 - (5) إن مضمون ذلك الآن هو الطبيعة البشرية تنمو وتطور وفقاً لقوانين ثابتة تماثل تلك القوانين التي تحكم حركة الأجرام السماوية في مداراتها .
 - (6) وهنا يصبح واجب المدرسين أن يتعلموا هذه القوانين ، فذلك هو واجبهم الأساسي ، ومعرفتهم بهذه القوانين هي من أجل التنبؤ بها وليس التدخل

في حركتها . وينبثق من هذا الأساس الحركة القائمة على الدراسة الشمولية للطفل ، وهكذا تصبح طبيعة الطفل هي المعيار .
من هذه المقدمات يخلص المفكر في المذهب الطبيعي الرومانسي إلى النتيجة التي مفادها ما هو موجود ، يكون صحيحا ؛

1) إن ما يحاول الطفل أن يفعله يجب أن يرتبط بدافع أساس ، دافع يريد أن يتحقق بداخله بما يفوق احتمالية تجنبه

2) يجب أن يكون المرء حذرا ولا يقاوم هذه الدوافع الفطرية إلى أقصى حد .

3) والأخذ بهذا الحذر يلزم المربي بأن يرجع إلى " فرويد " أكثر مما يرجع لروسو في دعم المذهب الطبيعي الرومانسي .

4) في البيت وفي المدرسة يتحلى هذا المربي بقدر كبير من التسامح Permissiveness فتجنب ومعالجة الاضطرابات العصبية المتولدة من عمليات الإحباط والكبت الناتج عن الأعراف الاجتماعية . وأكثر من ذلك ، إذا أراد أن يغير قائمة من الأهداف الخاصة بالمدرسة فسيقوم بالاستعانة المباشرة بعلم نفس الطفل ويكن لهذا المربي أن يصمم كتالوجا بحاجات الطفل مبنيا على تقدير للغرائز التي تبحث عن إشباع حاجات الطفل وبذلك تصبح حاجات الطفل الأهداف التي ينبغي أن تحاول التربية أن تعلنها وتشبعها .

المفكر الطبيعي الرومانسي لا يمتلك فحسب نظرة للطبيعة كما تبدو في حاجات الطفل عامة ، ولكنه أيضا يحظى نظرة عالية متخصصة للطبيعة كما تبدو في حاجات الطفل المتفردة ، إنه يوفر كلا من التفرد والمشارك للطفولة

البشرية ، وبالتالي يكون مستعدا لتنظيم البرنامج المدرسي حول الاهتمامات الفردية للطفل . إنه يعطي أولوية لما يفكر فيه الطفل الفرد ولما يشعر به ، وإلى ما يرغب فيه وما ويقدره . إذا بدا ذلك غير ملائم لمزاج الطفل الشخصي فإن ذلك يكون بسبب فشلنا في تقدير التنوع الغني للطبيعة.

النظرة العاطفية للمتفرد والذاتي تفسد Infect برجماتية بعض التقدميين ، من خلا تعريف الحقيقة بأنه ما يؤدي أي ما يجري على أرض العمل . فهم مثلا يبدؤون في تعريف " الأعمال " من خلال تعريف ما يشعرون في تنفيذه ، ما يسعى المدرسون أن يكون حقيقيا ، يعتمد في جانب منه على الأهداف أو القيم التي يبدؤون بها ، ذلك يعني وجود خاصية معينة مرغوبة للحقيقة ، فإذا أثبت ما يعتقدون فيه فاعليته فإنهم يميلون لاعتبار هذا الاعتقاد حقيقة واقعية . وفي ضوء ما سبق يصبح من السهل أن نفهم لماذا يجب أن يكون التعلم في المدرسة التقدمية تعلما هادفا ، لماذا في طريقة التدريس بالمشروع يجب أن يكون لدى الطفل هدف واضح أو مثير داخلي يدعم الهدف ويقود عملية التعلم وينشط الدافعية .

يعطي المفكر الطبيعي الرومانسي الجديد العملية الاجتماعية مكانة أكبر في تربية الطفل أكثر مما أقر بها روسو ، لكن رغم ما يحتله الدور الاجتماعي للعملية التربوية فإن هذه العملية ستظل معتمدة أساسا على المتعلم ومن هذا السياق . تصبح المحرمات الاجتماعية في بعض الأحيان مرفوضة باعتبارها أمورا غير طبيعية . إن الحالة الطبيعية المفترضة للإنسان هي الحرية ، بينما يكون النظام والتحكم في الذات أهدافا جديرة بالاعتبار ، ولكنها أمور عرضية بالنسبة للفضائل الأكثر إيجابية في برنامج المدرسة والذي يؤكد على أهمية التعبير عن الذات .

والتأكيد على حرية الطفل وفق هذه النظرية ، يعني ضمناً للآباء والمعلمين ألا يتدخلوا في النمو الطبيعي للأجيال التي تتفتح للحياة تمسكاً بمبدأ " دعه يعمل دعه يمر " والذي أصبح يطبق على نطاق اجتماعي واسع . ولقد سرت النظرية الطبيعية المناهضة مراراً وتكراراً برفع يد الدولة عن التعليم . وترتكز هذه المناهضة على حقيقة أن الناس سيجادلون بحكم طبائعهم وحاجاتهم إلى التعليم ، إلى إنشاء المدارس بدلاً من انتظار التدخل الحكومي في هذا الشأن . فإذا لم يحدث ذلك من كافة الناس فسوف يغادر محبوبو الخير إلى ذلك . وهكذا فإن تدخل الحكومة وفق هذا المنطق لتدارك ما يمكن أن يقع من ظلم على أي طفل من الأطفال . فتحصر الفلسفة الطبيعية على أن توفر للأقوياء وذوي القدرة فرصة تحقيق ذاتهم وهذا الحرص الذي يتضمن افتئاتاً على حقوق الضعفاء يعبر عن نوع من العدالة الطبيعية . وعن تطبيق اجتماعي لمبدأ الانتخاب الطبيعي والكفاح من أجل البقاء للأصلح .

وإذا كانت البرجماتية والطبيعية الرومانسية تستندان إلى مبدأ المعاصرة أو التزين . فإن هذا المبدأ يظهر بشكل قوي في الثانية عنه في الأولى . في عالم يتطور بشكل جديد ، يستطيع المرء بصعوبة أن يبعد عينيه عن النقطة التي عندها تصبح الأمور الطارئة الجديدة داخل نطاق البصر والرؤية . تلك النقطة بطبيعة الحال ، تمثل الحاضر الذي يتحرك بشكل دائم ، إذا حول بصره بعيداً إلى الماضي أو المستقبل فإن زحمة الأحداث قد تكفه عن العمل . وهكذا فمن غير المنير للعجب أن نرى التقدمية تؤيد أن تكون التربية هي الحياة الآن أكثر من الإعداد للحياة

في الكبر أو الحياة لوقت محتمل في المستقبل . إذا عاش الطفل حياة جيدة في الحاضر ، فإنه سوف يكون معدا إعدادا طيبا لما يتطلبه المستقبل .

الفلسفة الوجودية :

إن التركيز على الفرد وتعزيز مكانته يعد السمة الرئيسية في الفلسفتين الطبيعية البرجماتية والطبيعة الرومانسية ، وهو سمة أيضا في الفلسفة الوجودية ، بينما يمثل التفاؤل سمة كل من الفلسفتين البرجماتية والرومانسية ، فإن الوجودية؛ إذا لم تكن متشائمة ، فهي على الأقل نداء ، يتسم بالاعتدال ، وكما هو واضح فإن الاهتمام المطلق والجوهري للفلاسفة الوجوديين اكتشاف لمغزى الوجود . إنهم بالفعل لا ينفردون بهذا الاهتمام ، حيث يشاركونهم في ذلك الفلاسفة المثاليون الكلاسيكيون وهؤلاء يهتمون بالمطلق ويعتقدون أن هذا المطلق يهتم بهم أيضا . وعلى النقيض من ذلك فإن الوجوديين ، ليسوا متأكدين من هذا الاهتمام المتبادل ، وعلى ذلك يرون في موقف الإنسان موقفا يتسم بالوحدة والقلق . ومن هنا فإن الإنسان يواجه المستقبل حتميا والموت ، وهو غير متأكد من معنى وجوده ومصيره ، ومن ثم تنتابه مشاعر من القلق الدائم وأخوف ما يخافه ربما إنهاء وجوده نفسه ، ويجد الفلاسفة المثاليون ملجأ من هذا الخوف . وعلى العكس من ذلك حينما يبحثون عن جوهر الوجود في المبادئ العقلية للميتافيزيقا . على العكس من ذلك يجد الوجوديون جوهر الوجود في أشكال القلق والتوتر والتناقضات التي تحكم وحدتهم وقلقهم .

يتمثل مركز فهم الفلسفة الوجودية في الفكرة الشاملة Notion التي تقرربأن الوجود يسبق الماهية (الجوهر) ، أي أن الإنسان يوجد أولا وبعد ذلك فقط يعرف

ويتصور نفسه ، وهذا التسلسل يعتمد على نظرية في المعرفة الوجودية . إن المدخل الاعتقادي للمعرفة يسمح بعض الفصل بين الباحث عن المعرفة والمعرفة ذاتها بينما يرفض الوجوديون هذا الفصل . من هذا المنظور فإن المعرفة لا تدور حول الوجود ، إنها الوجود نفسه . حقيقة ، ويعرف المرء بشكل ذاتي فقط ما يعبر عن فرديته ، والمرء لا يكون ليس ما يكون عليه في الوقت الحالي بل هو في تحول دائم ، يجعله مطالب باتخاذ قرارات عديدة في كل لحظة . وهو حينما يصل بحدسه إلى المعرفة ، يصل بالتبعية إلى القيم المرتبطة بها . والوصول إلى هذه القيم قد يتطلب قليلا من المعايير أولا يتطلب على الإطلاق ، معايير تؤشر إلى جوهر التقدم . ومع هذا فما هو جدير بالملاحظة Noteworthy أنه بينما يكون المفكر الوجودي حرا تماما في اختبار قيمه ، فإنه يظل مع ذلك مسؤولا عن تبعات هذا الاختيار . وفي النهاية تتحدد هوية المتعلم في التزاماته فما يختاره يحدد ما يصير إليه .

منذ أن اعتبرت المدارس التقليدية الماهية سابقة للوجود . المفهوم والنظرية سابقة على الخبرة ، فإن هذه المدارس تبدو مجردة وغير واقعية بالنسبة للأطفال . أما الاتجاه الوجودي فيجب أن يكون على العكس تماما ، فبدلا من سرد Retailing Vicarious خبرة بديلة أو معمة . إنها تصر بإلحاح على الخبرة باعتبارها مصدرا للمعرفة . إنها تؤكد على الاستجابات المباشرة والتلقائية للطفل . وفي هذا السياق تعطي الأولوية لشخصية الطفل المتفردة ، وببساطة ؛ فإن الطفل لا بد أن يصنع الشيء الخاص به . ومن ثم فإن المدرسة التي تحاول أن تستولي على "لحظة الحقيقة" الداخلية للطفل نفسه سوف تعطي بوضوح الحيوية للدافعية والموثوقية للمنهج الذي سوف يكون ، على أقل تقدير ، متجددا . وحتى الآن ؛

وبينما يبدو الأمر جذاباً إلا أنه صعب . يقول البعض إنه من المستحيل على المدرسة أن تقوم بذلك ، ومن ثم بهمة ، وذلك بسبب كون التفاعلات الخاصة بكل من التلميذ والمعلم متفردة وغير قابلة للوصف الدقيق . إن المعلم والتلميذ ليس لديهما النوافذ المفتوحة لاستقبال خبرة بعضهما البعض . وإذا كان الأمر كذلك فإن التفاعل والاتصال ، وهما جوهر العملية التربوية يكونا محفوفين بالمخاطر .

ومن الملفت للنظر أن الفلسفة الوجودية وجدت شعبيتها الكبرى بين التلاميذ أكثر من المعلمين ، ولعلنا نجد بعض العناصر المشاغبة من الأجيال الشابة ، خاصة في المرحلة الجامعية ، أحيانا تبرر سلوكها الخاطئ وفقاً للمبادئ الوجودية ، وهذه العناصر تنتمي إما إلى النشطاء وإما إلى الهيبيز .

ويعتمد النشطاء الوجود اختياراً واتخاذاً لموقف ، وخاصة المواقف المعارضة ، لأنها تشحذ الوعي والشخصية باعتبارها وجوداً . والكلية أيضاً في رأي الطلاب يجب أن تتحول إلى عنصر نشط في المجتمع من خلال تعزيز روح الاكتشاف لدي الطلاب وأخذ مواقف معارضة من قضايا اليوم الأخلاقية والسياسية . وهؤلاء الناشطون ينكرون الفكرة التقليدية التي مفادها أن الدور الأساسي للكلية هو الدور العقلي (المهتم بالجوهر) ويفضل ما تركز عليه النظرية الوجودية من معارف وقيم متاحة وفورية ، يتمسك النشطاء بما يتخذونه من قرارات حول الأحداث الجارية . ولا يقبلون أي مساومة حولها ويتعصب النشطاء إلى وجهة نظرهم الخاصة ، بما يجعل من غير المثير للدهشة شعورهم بالوحدة ، والفجوة بين الأجيال ومعارضتهم " للعالم أحادي الوجهة " والمؤسسات المرتبطة به ، كما يأتي انخراط النشطاء في الوجودية إلى حقيقة كونها تشكل قاعدة ينطلقون منها ليمارسوا

حريتهم في إدارة أمورهم الخاصة . ولكي يلفظوا المذهب التقليدي القائل بأن المدرسة والكلية هي على طرفي نقيض معهم . وارتباط الوجودية بالحرية ، يحتم على كثير من الطلاب أن يمارسونها وإلا انتابهم اليأس . وعانوا من أزمة هوية ، تتحول إلى اغتراب أحيانا .

في صيغة أخرى ؛ تظهر الفلسفة الوجودية على أنها فلسفة لا عقلانية تروج لمبدأ اللذة المرتبطة بالحاضر . إن مطلب الهيبيز في هذه العقيدة يتمثل في أن يخبروا الأشياء الآن لتحقيق إشباعات فورية بعيدا عن الكبت أو الإرجاء . وهنا تعرف الذات ليس بالفعل والمقاومة ولكن بقابليتها للاستقبال والوعي . إن الطريق لجعل الوجود أكثر حيوية لا يتطلب فقط أن تكون نشطا تحاول توجيه الأحداث الجارية، ولكن يتطلب إعادة تعريف الذات باعتبارها مدركة لما حولها كما يتطلب الأمر تعميق استجابة الذات للعواطف ، والدوافع ، والخيال . في هذا السياق ؛ تصبح المخدرات ، في أغلب الأحيان طريقا مختصرا للطلاب حتى يستفيد من وجوده لأخر قطرة كوسيلة للتناغم مع هذا الوجود أو لمقاومته ، أو الهروب منه .

تضيف روح الفلسفة الوجودية بعدا جديدا في النظرة إلى التربية الدينية ، إنها تبدأ من الحقيقة الواضحة ، التي غالبا ما تظل بعيدة عن النظر، وهي أن كل شخص يعيش الآن ، شابا كان أو مسنا ، سوف يموت ، ويتوقف عن الوجود . هل يمكن لشخص أن يعتبر نفسه قد خضع لتربية جيدة إذا لم يعد نفسه بإتقان لبلوغ نهايته المحتومة ؟ إن هذا الأمر من الجدية بمكان لدرجة أنه لا يمكن تركه للكنيسة . ليس كل الناس مرتبطين بالكنيسة ولكن كل الناس مرتبطين بالموت ، وبالتالي فبالنسبة للفيلسوف الوجودي يعتبر كل من الدين والتربية نوعا من

الاهتمام العام ، بعض الوجوديين يوجهون هذا الاهتمام إلى الله . كيفما كان الحال فإن وجوده لا يكون سهل المنال فقد يتمثل جوهره في العقل الإنساني ، وقد يرى البعض الآخر في عقيدة " موت الإله " واحدا من نتائج الوجودية ، وبهذه النظرة الأخيرة تصبح التربية الدينية نوعا من الإلحاد المسيحي . رغم أن هذا النوع من التربية الدينية يخلص الطفل من خوفه التقليدي من الله . وإنها تظل عاجزة عن إنقاذه من شعور الوحدة والعزلة المتولد من عيشه وحيدا في مجتمع علماني ، وأشكال القلق الناجمة عن الانخراط في الدين العلماني تؤكد على دنيوية هذا الدين ومدى أصالته .

الفلسفة المثالية :

تظل الفلسفة المثالية ممثلا للأصولية أو المذهب التقليدي . تشتق روح هذه النظرة التربوية من " المذهب الأصولي " وسط فوضى التغير والتنوع ، يعتقد الفيلسوف الأصولي في وجود بعض الأسس في نطاق التربية التي تكون ثابتة تقريبا ، ومن ثم يصر هذا الفيلسوف على أن المذهب الأصولي له دعائمه الفلسفية وهو واحد من المبادئ التي تكونت منها الفلسفة المثالية .

بالمقارنة مع التجديدات التربوية الحادثة في القرن التاسع عشر كانت الفلسفة المثالية غير راعية في الاعتراف بنتائج القرن العشرين ، ألا وهي الفلسفة البرجماتية حيث تعتمد الفلسفة المثالية على نظرة عالية للفردية والحرية في التربية كما أن برنامج نشاطها يقوم على التطوعية والنمو . حتى الآن وبرغم وجود مسحة من مذهب الرومانسية ثمة مقياس للمطلقية Absolutism في الفلسفة المثالية التربوية الذي يجعلها متمشية بشكل كبير مع مذهب الفلاسفة الأصوليين .

يبدو هذا التصنيف ، بشكل واضح ، مبررا طالما كان النمط المثالي لفلسفة التربية الحديثة هو النموذج الأفلاطوني . هنا تحظى الأفكار بمغزى نهائي وكوني. لكن الأفكار هنا تعني أكثر من مجرد وصف حالات عقلية . فالأفكار هي جوهر المثل الأصلية التي تعطي الشكل أو الصورة للكون . إنها تمثل القالب غير المادي التي تصب فيها جميع الأمور ، وأكثر من ذلك فهي تمثل المثل والمعايير التي يمكن أن نحكم بها على الأشياء ذات المعنى فبينما تعرف المادة عبر الحواس فإن الأفكار المرتبطة بها أو مبادئها تدرك بواسطة العقل. لكن الأكثر أهمية بالنسبة لفلسفة التربية الخاصة بالمذهب الأصولي حقيقة مفادها أن هذه الأفكار أو الصيغ أبدية لا تتغير. إن موضوعات الإحساس ، من ناحية أخرى ، تظهر على أنها حالة مستمرة من التغير والتدفق بالأفكار والفهم فإنها لا تصبح ، إنها ببساطة تكون .

إذا كانت الأفكار تحكم العالم الذي يعيش فيه الأطفال في صيغة ثابتة ونهائية ، فإنها تصبح الأصول الخاصة بتربيتهم . وهي هنا تصبح ظهيرا للمنهج . إنها تصبح جزءا ضروريا من برنامج المدرسة . هذا لا يعني أن تربية الحواس ، وعلى وجه الخصوص التربية البدنية والمهنية ، تكون مهملة ، ولكن في أي تراتب هرمي *Hierarchy* للقيم التربوية لن تكون هناك دهشة إذا احتل أي مجال للدراسة مكانة ضعيفة . إن الدراسات العقلية الصورية ومناهجها سوف تكون في مكانة عالية من الترتيب .

بالإضافة إلى هذا ، هناك العديد من الأصول المرجعية لفلسفة التربية الأصولية المثالية . إنها تتحيز لفلسفة أرسطو في إعلانها أن الوجود بالفعل هو نتاج للوجود بالقوة . إن الفكرة أو المثال الذي ينمو العقل نحوه يجب أن يوجد

بالقوة داخل الطفل قبل أن يبدأ في التعلم . والتعلم يحدد ملامح ما كان بدأيا وناقصا من قبل ، هذا التفسير يرتبط بنظرية الجشطالت في علم النفس .

لقد أحدثت المثالية الحديثة نقلة مختلفة بعض الشيء في الفلسفة التربوية ، فالمثالية في معناها الحديث تتعامل باعتبارها أوضاعا عقلية . في هذا المعنى يمكن أن نطلق على الفلسفة المثالية فلسفة (الأيديا . إزم Idea-ism) فحرف ال (L) في الأيدياليزم أدخل في الاسم من أجل التناغم Euphony . وتحليل دقيق للفلسفة ، استنتج البعض أن معرفة الفرد لبيئته تمثل فكرته عنها . إن البيئة في ذاتها In itself لا يمكن مطلقا أن تعرف بشكل مباشر ، ولكن يمكن أن تعرف فقط من خلال الأفكار الوسيطة للإنسان العارف . إن الصيغة التي تأخذها معرفة المتعلم ، ترتبط بطريقته الإنسانية في فهمها . والمكان والزمان الذي يحدث فيه نشاط التعلم يوضح هذا المعنى بجلاء . أي الإثنين . المكان والزمان لهما وجود خارجي موضوعي خلف البيئة الإنسانية . رغم ذلك ؛ يمتلك الإنسان أفكارا واضحة عن المكان والزمان . والخلاصة هي أن هذه الأفكار أنتجها عقل المتعلم . وهذه الأفكار هي فئات مسبقة من التفكير .

وإذا كانت نظرية المعرفة هذه واضحة فإن بعض الفلاسفة المثاليين يخطون خطوة بإقرارهم أن الحقيقة (الواقع) نفسه يجب أن يكون (أيدي . إستك Idea-istic) . ما طبيعة الحقيقة كفكرة تسعى نحو أن تكون ؟ سؤال تحاول الإجابة عنه العديد من الفلسفات المثالية . إن أكثر الفلسفات المثالية التربوية انتشارا هي الفلسفة المثالية المطلقة . وتبعاً لهذه النظرة فإن قلب الحقيقة يكون في الفكر أو العقل . العقل مطلق ؛ في الحقيقة إنه المطلق ، كونه مطلقا يعني أيضا كونه كلي

عضوي واحد Monistic . فيه كل شيء متداخل الصلات ، حيث يتم التوفيق بين كل المتناقضات . وبالإضافة إلى هذا فالسبب الذي يكمن خلف أي حدوث مفرد يتضمن كل الحقيقة . الكون ، عندئذ ، هو عملية فكرية عظيمة ، والمطلق هو تفكير الله ، وكل ما حدث وكل ما سوف يحدث هو نتيجة لمشيئة المطلق الذي يكون كاملا ، ومحققا لذاته . لا يجب أن ننسى الطبيعة فهي تمثل الوسط الذي يحقق فيه المطلق ذاته في صيغة خارجية . العقل الذي يملكه الإنسان تكوين طبيعة العقل المطلق . عقل الإنسان ، كيفما كان الأمر ، يمثل جانبا أو جزءا من الكل المطلق ، إنه لذلك متناه وناقص ، وبالتالي فإن موضوعيته تتمثل في الكفاح من أجل تحقيق ذاته حتى يصبح ما نريد أن يكون .

وإجمالا ، فلسفة الأصوليين في التربية مغلقة تماما داخل الإطار المرجعي ، بوضوح ؛ كل ما هو مطلق أصلي وأساسي . وهذا يضع نهاية للعملية التربوية . إنها عملية التحقيق المبالغ فيه للفكرة المطلقة . وهذا الإقرار المسبق للأهداف يحدد أيضا وظيفة وغرض الفلسفة التربوية . وتصبح قضيتها الرئيسة فهم الحقيقة المطلقة ، وجود المطلق يمثل الكل ووجود التربية هو الجزء من هذا الكل . ربما تكشف الدراسة هذا الجزء عن الأوجه الهامة للكل .

لا يمكن أن تعلم الفكرة المطلقة لأن المطلق غير متناه ، إذن كل إنجاز للمربي يكون له هدف أبعد . عند هذه النقطة لا تبدو الفلسفة المثالية للتربية فقط متمشية مع المذهب الأصولي ولكنها تصبح أيضا تقدمية بشكل كبير ، إنها تبدو لأول وهلة ثابتة ومرنة في ذات الوقت . ولكن تصبح أيضا تقدمية بشكل كبير ، إنها تبدو لأول وهلة ثابتة ومرنة في ذات الوقت . ولكن ثقل هذه الفلسفة يعتمد على قدم واحد

وليس على قدمين ، فمطلقها غير متناه ، غير محدود ، بمعنى أنه كلي الشمول *All- inclusive* وهذا يعني أن العقل المطلق لا يتطلب نمواً أكثر. إنه كامل ومحقق لذاته بشكل كامل . التنمية أو التعلم يكون فقط لعقل الطفل ، العقل الإنساني المتناهي . لذلك فهو سيصبح في الوقت المناسب ما سيصير إليه إلى الأبد . لا شيء يتطور من تلقاء نفسه ، في نهاية القول فإن المذهب الأصولي ينتشر ويسود أكثر من المذهب التقدمي *Progressivism* .

وحيث أن المطلق كلي يشمل ما هو كائن ، وما سيكون . فإن الحق والخير يجب أن يكونا كتاباً مفتوحاً أمام العقل المطلق ، وهذا الامتداد المثالي في الموقف الذي يتبناه الفيلسوف يزيد أكثر من الفجوة بين المذهب الأصولي والمذهب التقدمي . إنه يحدد نمطاً مختلفاً ومتميزاً من زاوية العملية التربوية . فهو يجعل من الحق والخير النماذج التي يجب أن يخضع لها تعلم الطفل . والحق والخير هما اللذان يربطان الفلسفة المثالية بما هو أصولي . التعلم ليس عملية خلق ولكنه عملية تحقق للفكرة المطلقة لكل من الحق والخير . ففي المدرسة المثالية لا تصبح الأفكار حقيقية بمجرد أنها تسهم في إتمام المشاريع الخاصة بالطلاب ، وقيمتها داخلية وليست أدوات . وهذه الأفكار تمثل الحقيقة المطلقة ، ولهذا يمكن تعليمها لذاتها ، والحقيقة صحيحة لذاتها ، لذلك ؛ فالمنهج الدراسي الأصولي والذي يتكون من المعرفة التي تمثل الحقيقة الثابتة ، يمكن أن يصمم وتحدد أهدافه قبل أن يتم استخدامه .

إن الانسجام التام والمباشر في تعامل الطفل مع الحقيقة الموضوعية ، أمر ممكن لدي الفكر الأصولي المثالي ، بالنسبة لهذا الطفل ، يمكن اشتقاق الحقيقة من الاتساق المنطقي للأفكار المتعددة التي تتناول هذه الحقيقة ، ومما سبق يمكن

الاستدلال على دور العقل في العملية التربوية وفي التعامل مع العالم . فالعقل ليس منحة بيولوجية ولكنه شيء خام أولي يمثل جوهر الحقيقة نفسها ، والعالم هو فكرة المتعلم ، والتربية تمثل نوعا من بناء العالم يحاول فيه المتعلم بناء وجهة نظر داخلية لهذا العالم ، تقترب قدر الإمكان من حقيقته الموضوعية ، أي المطلق ، وبهما يحاول المتعلم أن يصوغ إيديولوجيا Weltanschauung أي رؤية للعالم باستخدام الكلمة الألمانية التي تعبر تماما وبدقة عن الفلسفة المثالية .